

نقد العلوم العقلية ودوره في بناء الحضارة الإسلامية

Criticism of mental sciences and its role in building Islamic civilization

بلختير إبراهيم

¹ جامعة أبو بكر بلقايد (الجزائر)، bbelkhatir@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 01-05-2021 تاريخ القبول: 01-08-2021 تاريخ النشر: 07-08-2021

ملخص:

إن المتتبع لتاريخ الحضارات السابقة يجد أنها بنيت على طائفة من العلوم والمعارف، ومن غير المنطقي أن تقوم حضارة بلا علماء متخصصين في شتى الميادين، يدفعون عجلة التطور والازدهار إلى الأمام، ولكن مالا يجب أن يغفله كل عاقل هو أن تمحيص العلوم وتنقيحها بعد وعيها أهم من ذلك الأساس العلمي الذي بنيت عليه الحضارة، وبهذا يتضح أن للفكر دورا بارزا في إقامة الحضارات

الكلمات المفتاحية: نقد؛ حضارة؛ علوم؛ فكر

Abstract :

Those who follow the history of previous civilizations will find that they are built on a range of sciences and knowledge, and it is illogical for a civilization to emerge without scholars specializing in various fields, pushing the wheel of development and prosperity forward, but what every rational person should not overlook is that the scrutiny and revision of the sciences after their awareness is more important than This is the scientific basis on which civilization is built, and by this it is clear that thought has a prominent role in establishing civilizations, rather it is the basis of that

Keywords: critique; civilization; Science, intellectالمؤلف المرسل: بلختير إبراهيم، الإيميل: bbelkhatir@yahoo.com

1 - مقدمة:

لقد تعددت العلوم واختلفت في الحضارة العربية الإسلامية، وذلك لتوسع رقعتها وكثرة من استساغ الدين الإسلامي وقبله كمنهج يعيش به حياته الدنيا؛ وإن المسلمين لم يقبلوا العلوم الواردة من الديانات الأخرى دون عرضها على ميزان العقل، وإنما كان منهجهم النقد والتمحيص والتقييم والتقويم، محاولة منهم الاستفادة من هذه العلوم وعرض آراء الطرف الآخر على مائدة المناقشة والبحث وعدم نبذها. فالإسلام علمهم أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، ونحن بدورنا سنعرض بعض العلوم العقلية التي استفاد منها المسلمون بعد دراستها وعرضها على المنهج النقدي.

وقبل الشروع في عرض العلوم العقلية التي طورها المسلمون بعد دراستها وعرضها على ميزان العقل لا بد من التعريف بالمنهج الذي اعتمدوه في ذلك، ألا وهو المنهج النقدي.

2 - المنهج النقدي:

1.2 - ماهيته:

النقد هو الفحص والتدقيق بهدف بيان ما في الأثر من عيوب أو محاسن، والروح النقدية هي التي تدقق وتتفحص من غير تحيز. وإن النقد للأفكار والرؤى والأوضاع والأعراف والتقاليد والمسلّمات هو محرك الحضارة وهو صانع التقدم في كل مجالات الفكر والعمل، وهو الشرارة التي فجرت طاقات الإنسان وصنعت له أجماد العقل والعلم، ووفرت له أسباب الازدهار؛ فالأمم التي اعتمدت هذه الآلية البديعة حققت طموحاتها وأبجرت إثبات ذاتها، ووقفت وسيلة حية بين الشعوب في سباقات الفكر والعمل، أما الأمم التي أخذت هذا المحرك العظيم أو تجهله أو لا تحسن استخدامه فقد بقيت عاجزة عن مبارحة خنادق التخلف بل بقيت رافضة بأن تتجاوز هذه الخنادق لأن حرمانها من النقد والمراجعة حرّمها من اكتشاف نقائصها كما حرّمها من التعرف على ما في الدنيا من آفاق وبدائل، فبقيت تتوهم أنها الأفضل والأرقى وظلت رهينة هذا الوهم.

عنوان المقال: نقد العلوم العقلية ودوره في بناء الحضارة الإسلامية

ويمكن أن نعرف الفكر النقدي بأنه تلك القدرة العقلية التي تعمل في الأشياء للوصول إلى حقيقتها، فهو تشغيل العقل وحفز الفكر والانفكاك من المسلمات الخاطئة وتأهيل الإنسان بعقل ناضج ومتحرر من قيود العادة وأغلال المألوف.

2.2 - ظهوره:

ارتبط النقد وجودا وعندما بوجود الإنسان وظهور فكره، فالإنسان ناقد بالطبع (الطاهر، 1979، صفحة 351)، لما أوتي من مؤهلات ذهنية ونفسية خاصة به، جعلته يرتاح للحسن وينقبض عن القبيح، وحيثما كانت لحركته في الحياة فكرا وأثرا ثقافيا، كان النقد يتحرك في روحه ويسير إلى جانب فكره، إن لم نقل: إن فكره في الأساس كان نقدا، لأنه يتحسس به جمال الوجود فيبين حسنه، ويعبر عن نفرتة من عبث المخلوقات والعوامل الرديئة في الحياة ليكشف عن قبحها، وذلك هو النقد بذاته.

3.2 - تأسيسه ومراحله:

إن تأسيس الفكر النقدي وإدراك أهمية الشك في المألوف واعتماد المراجعة وتكرار إعادة بناء المعرفة كان سبعا عظيما ومدهشا للثقافة اليونانية في القرن السادس قبل الميلاد، لأنه يمثل طفرة ثقافية هائلة قفزت بها من مستوى ترديد الموروث وتقديسه والاستسلام له إلى مستوى وضع هذا الموروث موضع المسائلة والتمحيص والانطلاق في إنتاج المعرفة ومواصلة تعميقها وتوسيعها وإجراء التنقيحات المستمرة عليها، وبذلك حقق اليونانيون تغييرا نوعيا في الفكر البشري. وهذا السبق العجيب هو الذي مكن من جاء بعدهم من أن يفلتوا من أسر المسلمات في العصر الحديث حين استعادوا الفكر اليوناني، كما أتاح لهم أن يوجهوا الطاقات الفكرية والعقلية لفهم الكون والإنسان والمجتمع وأن يثابروا على استخلاص الحقائق؛ وهو الذي علمهم مداومة المراجعة وتكرار التمهيص وتطوير الرؤى واستصحاب الشك واستبعاد الوثوق وإعادة التحقق، وهو الذي أشبعهم بروح المغامرة واقتحام المجهول ومواجهة المخاطر والحرص على الكشف والإقدام الجريء في كل مجالات الفكر والفعل. (بوير، 2001، صفحة 114).

بلخثير إبراهيم

ولم يعرف الفكر النقدي مسارا أو اتجاهها واحدا، بل عرف مسارات واتجاهات مختلفة ومتباينة، فكان تاريخه هو تاريخ التعدد والتعدد والاختلاف؛ وإنه يمكن وبإيجاز أن نقدم المراحل التي تعكس التطور العام له عبر التاريخ، وهي على النحو الآتي:

- المرحلة القديمة: نشأة الفكر النقدي في الفلسفة اليونانية في القرن السادس قبل الميلاد.
- مرحلة العصور الوسطى: انتقاله إلى أوروبا والعالم الإسلامي من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر.
- المرحلة الحديثة: ارتباطه بشتى العلوم في القرن السابع عشر.
- المرحلة المعاصرة: ابتدأت من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، حيث صار فيها الفكر النقدي المحرك لتطور الحضارات وازدهارها.

انطلاقا من هذه المراحل يمكن القول: إن الفكر النقدي شهد محطات أو لحظات كبرى خلال تطوره، ولم يكن الانتقال من لحظة إلى أخرى مجرد انتقال في الزمان والمكان، ولكنه انتقال في فضاء الفكر واللغة والعقل. (بوير، 2001، صفحة 135)

3 - نقد العلوم العقلية:

عندما نتكلم عن العلوم العقلية لا شك أننا نتكلم عن الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والهندسة وغيرها، وإن العرب والمسلمين لم يتلقفوها من غيرهم دون عرضها على ميزان العقل بالتمحيص والتدقيق والإضافة، لذلك نجدهم يعرضون آراء الطرف الآخر على سبيل المناقشة والبحث دون نبذ أو إقصاء. وسنذكر في هذا المقال بعض العلوم العقلية التي أسقط عليها المسلمون المنهج النقدي، فساهمت في تطور الحضارة الإسلامية وازدهارها وبرز الكثير من الشخصيات التي خلدها التاريخ.

1.3 - الفلسفة:

يقول الإمام محمد أبو زهرة: " في آخر العصر الأموي والعصر العباسي تواردت على العقل العربي الفلسفة الهندية والفلسفة اليونانية، وقد جاءت إلى المسلمين أرسال الفلسفة اليونانية عن طريق الفرس، لأن الثقافة

عنوان المقال: نقد العلوم العقلية ودوره في بناء الحضارة الإسلامية

الفارسية قبيل الإسلام كانت متأثرة بالفلسفة اليونانية، كما جاءت عن طريق السريان، لأنهم ورثوا الفلسفة اليونانية وألبسوها لبوسهم الديني ومسوحهم اللاهوتية وعن طريق اليونانيين أنفسهم لأن الموالي من المسلمين كان يجيد اليونانية. (زهرة، 1989، صفحة 131)

وقد ابتدأت في هذا العصر - أي العباسي - الآراء الفلسفية تنتشر بين المسلمين باختلاطهم بالفرس واليونان والرومان، وكل هؤلاء كان للعلوم الفلسفية عندهم منزلة كبيرة، وكان بالعراق مدارس فلسفية، كما كان بفارس قبل الإسلام مثلها.

ولما جاء الإسلام في تلك الأصقاع وجد من يجيدون العلوم الفلسفية ومنهم من كان يعلم المسلمين مبادئها، وكان للسريان العمل البارز في ذلك، إلا أن هؤلاء النقلة لهذه الفلسفات من السريان وغيرهم لم يستطيعوا أن يميزوا بين مذاهبهم الدينية وفلسفة أرسطو وأفلاطون ومن سبقهما، فكانوا إذا وقع أحدهم على رأي يخالف مذهبه حذفه وحوره، وربما أضافوا إلى كتب الفلسفة ما ليس منها؛ وهكذا وصلت الفلسفة اليونانية إلى العرب والمسلمين مشوهة ممسوخة، جهلا من الناقلين أو قصدا، مع أن خلفاء المسلمين ائتمنوههم على هذا التراث؛ ولقد كان فلاسفة الإسلام من طهارة أنفسهم أنهم لم يشكوا في هذا التحريف الذي طرأ على الفلسفة، فأخذوا يجهدون أنفسهم وعقولهم في سبيل التوفيق بين هذه المتناقضات والمحاولات التي لا تتفق مع العقل، وقضوا في ذلك قرنين ونصف من الزمن، مظهرين عبقرية عظيمة في بحوثهم ونظرياتهم فانتقلوا بذلك من النقل إلى النقد والإبداع، وبرز كثير منهم في هذا المجال فكانت مساهمتهم عظيمة في تحريك عجلة الحضارة الإسلامية وإيصالها إلى قمة الرقي والازدهار. (فروخ، 1952، صفحة 92)

ومن أشهر الفلاسفة المسلمين الذين ساهموا في بناء الحضارة العربية الإسلامية بعد دراستهم لعلوم الحضارات التي سبقتهم:

بلخثير إبراهيم

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي: (ت 260هـ / 873م)، فيلسوف العرب، ولد بالكوفة، وجرى على سنة غيره من علماء المسلمين في ذلك العصر الزاهر، أيام المأمون والمعتصم، ولم يكن الكندي يعرف اليونانية، وإنما كان يعتمد على الترجمات التي تمت من طريق السريانية أو اليونانية إلى العربية. (بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، 1967، صفحة 188).

ألف الكندي عددا هائلا من الرسائل البحثية في مختلف علوم الأوائل، وبالرغم من تخصصه في الفلسفة إلا أنه ترك عدة مؤلفات في تخصصات أخرى، كعلم النفس والطب والهندسة والموسيقى والتنجيم والجدل الديني والفلك والسياسة.

كانت فلسفة الكندي على مذهب الأفلاطونية الحديثة، ولكن الكندي لم يأخذ هذه الفلسفة جملة، بل أمعن فيها النظر فغير فيها ما استطاع من خلال فكره النقدي الثاقب، متخذا منهج المساءلة والتحقيق والتمحيص، فترك الزيد وأخذ ما ينفعه وما ينفع الحضارة الإسلامية، حتى عد أحد روادها العظماء، ومن كتبه " الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد "، وخمس رسائل أولاها في ماهية العقل. كان الكندي أول فيلسوف عربي وأول فيلسوف مسلم بوجه عام، وكان أول من مزج بين الفكر اليوناني والفكر الديني الإسلامي، وكان واسع الثقافة بحيث شملت معرفته كثيرا من علوم الأوائل، ولا نكاد نجد بين رجال النهضة في أوربا من يساويه في اتساع المعرفة والتحصيل الفلسفي والعلمي، فحق له أن يكون رائدا من رواد الفلسفة في الحضارة العربية الإسلامية. (بدوي، الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية، 1987، صفحة 194).

أبو النصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي: (ت 260هـ / 873م)، سمي الفارابي المعلم الثاني نسبة للمعلم الأول أرسطو، لأنه شرح مؤلفات أرسطو المنطقية.

وكان للدين الإسلامي تأثيره في فلسفة الفارابي، فأخرج لنا مؤلفات تعالج المنطق والفلسفة والهندسة والطب؛ وفي الفلسفة أسس الفكر الإسلامي الشامخ، فما من نظرية أصلية في الحضارة الإسلامية إلا

عنوان المقال: نقد العلوم العقلية ودوره في بناء الحضارة الإسلامية

وتدين للفارابي بإسهام. من هنا كانت سياسة الفارابي التوفيق، فقد حاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطو من جهة، والتوفيق بين الحكمة والشريعة أو بين الدين والفلسفة من جهة أخرى.

وفق الفارابي بين الحكمة والشريعة، وهذا المنحى لا يوجد له مؤلف خاص بل هو مبثوث في مصنفاته، وبني رأيه على أن الشريعة والحكمة ترجعان إلى أصل واحد، فمرد الشريعة الوحي والوحي من الله، ومرد الفلسفة الطبيعة، والطبيعة من صنع الله. وللفارابي عدة آراء فلسفية، كمنظريّة المعرفة والتي يؤكد فيها أنها مبنية على الحس، وله آراء مختلفة عن الفلاسفة في المنطق وأيضاً في النفس، حيث يرى أن استكمالها يكون بإدراك المعقولات. (فرشوخ، 1966، صفحة 116).

لقد كان أثر الفارابي في اتجاه الفكر العربي عظيماً حيث ساهم في تطور الحضارة الإسلامية وانفتاحها على الحضارات الأخرى، كما أنه كانت له نقلة نوعية في اتجاه الفكر الأوروبي، إذ نقلت كتيبه إلى اللاتينية وطبعت جملة واحدة حتى يستفيد منها الغرب، وكان ذلك واضحاً عندما لم يستطع "ألبرت الكبير" - كبير فلاسفة الكنيسة في العصور الوسطى - أن يعرض فلسفة أرسطو بأحسن مما عرضها الفارابي، لذلك لم يجد بداً من أن يقتفي آثار الفيلسوف المسلم في عرض فلسفة أرسطو. (فروخ، 1952، صفحة 95). أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي (ت 595هـ / 1198م): من أهل قرطبة، شارح فلسفة أرسطو لم أحد في أوروبا يستطيع فهمها، حتى عرف من أجل ذلك في أوروبا باسم "الشارح"؛ ولكنه لم يكن شارحاً لكتب أرسطو فقط، بل كانت شروحه على أرسطو في حقيقتها حجة لإبراز آرائه الشخصية، فكان يعرض كل شيء على ميزان العقل، وكان يرى ألا تعارض بين الدين والفلسفة، ولكن هناك بالتأكيد طرقاً أخرى يمكن من خلالها الوصول إلى نفس الحقيقة المنشودة.

وكان ابن رشد يقول بأن هناك نوعين من معرفة الحقيقة، الأولى: معرفة الحقيقة استناداً على الدين المعتمد على العقيدة وبالتالي لا يمكن إخضاعها للتمحيص والتدقيق والفهم الشامل والنقد، والمعرفة الثانية للحقيقة هي الفلسفة.

بلخثير إبراهيم

ولقد اقتبس الغرب فلسفة ابن رشد بكاملها، وكان من حسناتها أن حلت عقال الفكر الأوربي، وفتحت أمامه باب البحث والمناقشة واسعا على مضراعيه، وخصوصا ما معها من آراء مادية وطبيعية وشمولية؛ ولم يكن من المستغرب أن يعجب مفكرو العصور الوسطى بشروح ابن رشد وبإصابته آراء أرسطو بإعمال العقل والسير بمنهج التدقيق والتمحيص، وهكذا نشأ بينهم مذهب الرشدية للأخذ بالعقل عند البحث، وترك الاعتماد على الروايات الدينية. (فروخ، 1952، صفحة 114)

ومن أهم ميزات فلسفة ابن رشد:

التوفيق بين الشريعة والحكمة، إذ يرى أن كلا من الشريعة والحكمة في حاجة إلى الأخرى، وهما يعبران عن حقيقة واحدة، وأن كلا منهما تنحو نحو خاصا في ذلك ولكن ذلك لا يوجب خلافا بينهما أو بين روادهما؛ ومن هنا كان إعجاب ابن رشد بأرسطو لا يوازيه ولا يتفوق عليه إلا إعجابه بالقرآن العظيم وإيمانه به، لذلك كان دائما يشير إلى تلك السعادة التي يحس بها من يجمع بين المعقول والمحسوس. (الجابري، 1998، صفحة 119)

إن منهج ابن رشد النقدي اعتمد الأساس العقلي، وهذا الأساس هو الذي أذى به إلى نقد كثير من آراء الذين سبقوه، بل أدى به إلى نقد تيارات بأكملها كالتيار الصوفي والتيار الكلامي. إن فلسفة ابن رشد كانت تعبر عن عظمة الفكر التي تتلاشى أمامها ولا تقترب منها أي عظمة أخرى؛ وإذا كان ابن رشد قد استفاد من فلاسفة الغرب الذين سبقوه ومهدوا له الطريق، طريق العقل، إلا أنه قدم لنا مذهبا لا نستطيع أن نقول أنه صدى لآراء من سبقوه، بل كان تعبيرا من جانبه عن آراء فريدة صادرة من منهج نقدي ارتضاه لنفسه يقوم على إعلاء كلمة العقل فوق كل كلمة. (العراقي، 1984، صفحة 276)

لقد قدم ابن رشد نسقا فلسفيا محكما ومحاولة مذهبية تعد تعبيرا عن ثورة العقل وانتصاره، وبذل في التوصل إلى الآراء التي يتكون منها نسقه الفلسفي جهدا، وجهدا كبيرا، ولا تزال آراؤه حية تعبر عن فكر مفتوح يستوعب الجميع لا فكر مغلق.

عنوان المقال: نقد العلوم العقلية ودوره في بناء الحضارة الإسلامية

أبو حامد الغزالي (ت 505هـ/1111م): الملقب بحجة الإسلام ومحدد القرن الخامس الهجري. تناول الغزالي بحوث الفلاسفة التي تعرضوا فيها لموضوعات العقيدة، علّله يجد لديهم من فنون المحاولات العقلية ما يقطع بصحة ما ذهبوا إليه بشأنها، فوجدهم قد اختلفوا فيها اختلافا كبيرا؛ سرعان ما أدرك الغزالي أن مزاوله العقل لهذه المهمة إقحام له فيما لا طاقة له به، وأن أسلوب العقل في تفهم الأمور الرياضية، لا أن تخضع له المسائل الإلهية، فألف الغزالي في نقدهم وتفنيد آرائهم كتباً عديدة أهمها كتاب: تهافت الفلاسفة. وعند ذكر الغزالي لا يخطر بالبال رجل واحد، فيخطر الغزالي الأصولي الحاذق الماهر، والغزالي الفقيه الحر، والغزالي المتكلم، والغزالي الفيلسوف الناقد أو الذي ناهض الفلسفة وكشف ما فيها من زيف، والغزالي المري، والغزالي الصوفي الزاهد، وإن شئت قلت: يخطر بالبال رجل هو دائرة معارف عصره، رجل متعطش إلى معرفة كل شيء، نهم إلى جميع فروع المعرفة. (القاسمي، 2002، صفحة 18)

إن الغزالي فيلسوف في إنكاره الفلسفة أكثر منه في اعتناقها أو التأليف فيها، وهو أول من قال بالشك، وأوضح فكرة الزمان، فقد سبق ديكارت بخمسة قرون ونصف بنظرية الشك فقال: لنزع الشك يتسرب إلى كل اقتناع بل إلى كل عقيدة فينا، ولكن لنهاجم شكوكنا واحداً واحداً ولنحاول أن نصرّفها، وهذا من أبرز ما تميز به التفكير الإسلامي على التفكير الأوربي في العصور الوسطى. (خليل، 2008، صفحة 109)

هذه نماذج لفلاسفة مسلمين عمدوا إلى تطبيق المنهج النقدي، فكانت لهم مساهمات جليلة في بناء الحضارة الإسلامية.

2.3 - الطب:

كانت المعارف الطبية من أوائل ما اهتمت به الشعوب القديمة ومنها العرب في جزيرتهم، وقد عرف العرب الجاهلية الكثير من معارفهم الطبية مع ما كان يخالطها من السحر والشعوذة.

بلختر إبراهيم

وبعد ظهور الإسلام تلاشت مظاهر الشعوذة في التطبيب والعلاج، مثل التمايم والسحر والكهانة وحرم كل ذلك. وفي القرن الهجري الأول أضاف العرب المسلمون إلى معارفهم الطبية كل ما وصلت إليه أيديهم من معارف الشعوب الأخرى التي سبقتهم في هذا المضمار، وقد سلكوا في ذلك القول المأثور: خذ الحكمة لا يهملك من أي وعاء خرجت. (المبارك، 1996، صفحة 98)

وعندما اكتمل عصر الترجمة وازدادت حركة البحث والنقد والابتكار في صدر العصر العباسي، ظهر عدد من الأطباء العرب المسلمين الذين ساهموا في عصر النهضة الطبية، وبلغ من كثرتهم أن الحكومات كانت تجري لهم امتحانات رسمية، وتمنحهم شهادات للعمل، وكان لهم في كل مدينة طبيب رئيس هو الذي يجيز من يرى فيه الكفاءة للتطبيب. (هونكه، 1993، صفحة 238)

وتخصص الأطباء في الشرق والأندلس، فهناك الجراح، والفاسد، وطبيب الأسنان، وطبيب أمراض النساء، وطبيب الأعصاب... ومن أشهر الأطباء العرب المسلمين:

أبو بكر الرازي (ت 313هـ): من أشهر الأطباء في عصره، وحين اختاره الخليفة العباسي المكتفي بالله كي يدلّه على أفضل الأمكنة لإنشاء البيمرستان أي المستشفى، عمد الرازي إلى أربع قطع لحم وزعها في أربع نواح من مدينة بغداد، وانتظر وهو يراقبها حتى عين آخر قطعة فسدت منها، فأشار إلى أن مكان هذه القطعة هو الأفضل مناخا. (فرشوخ، 1966، صفحة 46)

وفي الجراحة كان للرازي إنجازات مهمة أيضا، فهو أول من ابتكر خيوط الجراحة، فيكون بذلك قد قدم للجراحة الحديثة خدمات جليلة. وامتيازه العلمي هذا جعله الأبرز من بين مائة طبيب اختارهم الخليفة عضد الدولة لمستشفاه الجديد، فسلم إليه إدارة المستشفى عن ثقة بمجدارته وعلو مكانته.

ابن سينا (ت 428هـ): هو الشيخ الحسين بن عبد الله، كنيته أبو علي والمشهور بابن سينا، الفيلسوف صاحب التصانيف الكثيرة، في الطب والمنطق والطبيعات والإلهيات، أصله من بلخ ومولده في إحدى قرى بخارى، ألف نحو مائة كتاب، أشهرها "القانون" الذي بقي معولا عليه في علم الطب ستة قرون.

عنوان المقال: نقد العلوم العقلية ودوره في بناء الحضارة الإسلامية

من ابداعات ابن سينا تشريح قلب الجنين، وذكر أقسامه المعروفة اليوم، ووصف الثقب الموجود في الجدار الفاصل فيه بين الأذنين، وقال إن هذا الثقب يسد حالا حينما يتنفس المولود أول مرة. (بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، 1967، صفحة 22).

هذان نموذجان من الأطباء الذين ساهموا في بناء الحضارة العربية الإسلامية؛ ولقد تخطى العرب علوم اليونان التي نقلوها إليهم وتفوقوا فيها تفوقا عظيما وتعمقوا في دراسة الفيزيولوجيا وعلوم الصحة وفن الأدوية، وما زال الكثير منهم مستعملا حتى الآن، كما برعوا في التخدير وأقدموا على إجراء عمليات جراحية واسعة ومعقدة ابتكروها، فكان النجاح حليفهم في حسن نتائجها. وبينما كانت ممارسة الطب محرمة من الكنيسة في أوربا وخاضعة لطقوس كهنوتية يمارسها رجال الدين، كانت المدارس الطبية منتشرة في بلاد العرب يؤمها الراغبون من كل فج طلبا في تحصيل العلوم دون قيد أو شرط إلا حسن الاستعداد لتعلمها، وكانت الموسوعات الكبرى التي وضعوها الطب مباحة ومتاحة للجميع.

لقد سبق الطب العربي بنهضته الطب الغربي مئات السنين، فكانت البصرة والكوفة وبغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة مدارس جامعة تبث أنوارها في العالم كله، يقصدها الطلاب من الشرق والغرب. (الشطي، 1963، صفحة 32).

3.3 - الكيمياء والصيدلة:

لقد شغلت فكرة تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة بال الكثير من علماء المسلمين، وبقيت تحمسهم على إجراء التجارب الكيميائية في علم عرفوه باسم "علم الصنعة"، فنشطت بذلك صناعة الكيمياء والصيدلة معا، ولقد الأدوية هي العقاقير الأصلية، فإذا اجتمعت كانت الأدوية المركبة التي سماها العلماء المسلمون "الأقرباديين". وكان الصيادلة خاضعين منذ أيام المأمون لامتحان يحصلون بعده على إجازة

بلخثير إبراهيم

لممارسة المهنة، ولهم عميد يرأسهم. ومن أعلام الكيمياء والصيدلة المسلمين: جابر بن حيان (ت200هـ).

يعد جابر بن حيان من أبرز العلماء في عصره حيث اكتشف هو ومن كان معه الكحول، والنشادر، ونترات الفضة، وطرق التقدير والترشيح والتكليس، والتحويل، والتبخير والتذويب والتبلور، والزرنيخ، وزيت الزاج - حامض الكبريت - والبوتاس والكافور... وهم الذين اخترعوا الأشرطة والمستحلبات والخلاصات العطرية، وهم أول من استعمل المرقد من الأفيون والشليم للتخدير. ولعل أكبر دليل على منجزات المسلمين العظيمة في علمي الكيمياء والصيدلة ما نراه اليوم من كلمات وأسماء عربية ما تزال على لسان كل دارس للكيمياء، ومن هذه الكلمات: كبريت، الصودا، نترون، الغاز، التوتياء، بالغة العربية واللغة الأجنبية. (الحري، 2006، صفحة 15).

4.3 - الرياضيات:

إذا ذكرت الرياضيات في الحضارة العربية الإسلامية ذكر أبو عبد الله بن موسى الخوارزمي (ت232هـ)، وهو الذي ينعت بالأستاذ بعد أن أقامه المأمون العباسي قيما على خزانة كتبه، وعمل في بيت الحكمة وكان من علمائه المرموقين.

بدأ الخوارزمي باستعمال الأرقام الهندية، ومع الزمن أصبح اسمه علما على طريقة الحساب العشرية، وأدخل استعمال "الصفر" في العد والحساب؛ وعنه انتقل استعمال الصفر إلى أوربا، وهو أعظم استكشاف رياضي على مر القرون.

تقول زيغريد هونكه: " ولم يقتصر الخوارزمي على تعليم الغرب كتابة الأعداد والحساب، فقد تخطى تلك المرحلة إلى المعقد من مشاكل الرياضات، وما زال القاعدة الحسابية "Algorithmus" حتى اليوم تحمل اسمه كعلم من أعلامها، وعرف أنصاره الذين كافحوا كفاحا مريرا من أجل نشر طريقته الرياضية باسم الخوارزميين؛ وكان ظفرهم على أنصار الطريقة الحسابية المعروفة باسم "أباكوس" عظيما، فانتشرت الأرقام التسعة يتقدمها الصفر في كل أنحاء أوربا ". (هونكه، 1993، صفحة 75).

عنوان المقال: نقد العلوم العقلية ودوره في بناء الحضارة الإسلامية

5.3 - الفلك:

ساعد على تطور علم الفلك وتقدمه حاجة المسلمين لتحديد أوقات الصلاة، واختلافها حسب موقع البلدان الجغرافي، ومتابعة حركة القمر لتحديد بدء شهر الصوم والحج، وهذا التقدم كان نتيجة جهود علماء متمكنين، أعملوا عقلهم وفكرهم لمواكبة المستجدات التي أحدثها الدين الإسلامي، ومن أعلام الفلك:

محمد بن جابر بن سنان الحراني البتاني (ت317هـ): فلكي مهندس، اشتغل برصد الكواكب مدة حوالي أربعين سنة، وهو صاحب "الزيج" (صناعة حسابية على قوانين عديدة فيما يخص كل كوكب من طريقه وحركته)، وقالوا إنه أصبح من زيج بطليموس، ولم أحد في الإسلام بلغ مبلغ البتاني في تصحيح أرصاد الكواكب وامتحان حركاتها. ومن مآثر البتاني وغيره من علماء الفلك المسلمين أنهم:

- صححوا أغلاط بطليموس.
- أول من عرف الرسم على سطح الكرة.
- حسبوا الحركة المتوسطة للشمس في السنة.
- ضبطوا حركة أوج الشمس وتداخل فلكها في أفلاك آخر.
- أول من قال بدوران الأرض حول الشمس.

هذا وقد صنع البتاني أول خريطة جامعة مفصلة للعالم بعد خريطة بطليموس، اتبع في رسمها طريقة التسطيح البسيط، وخطوط الطول والعرض فيها مستقيمة. (خليل، 2008، صفحة 84)

4 - الخاتمة:

إن التواصل والعطاء قديمان بين الحضارات، فما من حضارة إلا وأخذت مما سبقها، ثم أبدعت وأضافت، وبذلك كانت حركة الحضارة تناوبية، تأخذ وتعطي، تتأثر وتؤثر. ولما جاء دور أمتنا في بناء الحضارة، قامت بالفعل المطلوب منها وبإتقان، فانطلق علماء المسلمين نحو علوم من سبقهم من يونان وفرس وهنود

بلخثير إبراهيم

وغيرهم، لا تهمهم ديانة هؤلاء أو عقيدتهم، فكانوا يأخذون العلوم من كتب هذه الأمم ويعرضونها على العقل والمنطق والتجربة ليصلوا إلى التمييز بين صحيحها وباطلها، وكانوا يتابعون الدراسة والبحث والمقارنة والتمحيص باعتماد المنهج النقدي حتى يصلوا إلى نتائج جديدة، وبذلك ساهموا في تطور حضارتهم وجعلوها أعظم حضارة في العصور الوسطى.

وفي الأخير أقول: إن الجدوى كل الجدوى في استمرار النقد والتحريض على التحقق واستقطاب أفكار جديدة ورؤى جديدة تتعرض هي الأخرى للنقد ثم التجاوز في سلسلة لا تتوقف من الحركة والتقدم نحو الأفضل على كل الجبهات، فالنقد يجب أن يظل حركة لا تهدأ وجهادا لا ينقطع، فهو ليس موجها لحالة بعينها أو لوضع قائم في فترة من فترات التاريخ دون غيرها وإنما هو نضال عقلائي دائم.

5 - المراجع:

1. أحمد شوكت الشطي. (1963). مجموعة أبحاث عن الطب وعلومه في الحضارة العربية الإسلامية. دمشق: مطبعة جامعة دمشق.
2. جمال الدين القاسمي. (2002). موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين. بيروت: دار النفائس.
3. خالد الحربي. (2006). نماذج لعلوم الحضارة الإسلامية وأثرها في الآخر. الإسكندرية: دار الوفاء.
4. زيغريد هونكه. (1993). شمس العرب تسطع على الغرب. (فاروق بيبزون، كمال الدسوقي، المترجمون) بيروت: دار الجيل.
5. شوقي أبو خليل. (2008). لوحات مضيئة في الحضارة العربية الإسلامية. دمشق: دار الفكر.
6. عاطف العراقي. (1984). المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد. القاهرة: دار المعارف.
7. عبد الرحمان بدوي. (1967). دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي. القاهرة: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

عنوان المقال: نقد العلوم العقلية ودوره في بناء الحضارة الإسلامية

8. عبد الرحمان بدوي. (1987). الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية. القاهرة: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
9. علي جواد الطاهر. (1979). مقدمة في النقد الأدبي. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
10. عمر فروخ. (1952). عبقرية العرب في العلم والفلسفة. بيروت: دار العلم للملايين.
11. كارل بوير. (2001). في دفاع عن العلم والعقلانية. (بمضى طريف الخولي، المترجمون) الكويت: مطابع السياسة.
12. محمد أبو زهرة. (1989). تاريخ المذاهب الإسلامية. بيروت: دار الفكر العربي.
13. محمد أمين فرشوخ. (1966). موسوعة عباقرّة الإسلام. بيروت: دار الفكر العربي.
14. محمد عابد الجابري. (1998). ابن رشد سيرة دراسة ونصوص. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
15. هاني المبارك. (1996). دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية. دمشق: دار الفكر.